خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٣/١٢/٢٢م

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِراط الَّذينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

أذكر هذه الأيام غزوة أحد في الخطب. وكنت ذكرتُ أن المسلمين ألحقوا بالكفار خسائر فادحة في الحرب العامة واضطروهم إلى الفرار، لكن رغم أوامر الرسول ﷺ المؤكدة، فعندما أخلّت أغلبية المأمورين بحراسة الممر، هجم العدو من هذا الجانب وألحق بالمسلمين ضررا فادحا، وتفصيله أنه عندما قُتل حملة راية المشركين واحدًا تلو الآخر، ولم يجرؤ أحد على رفع الراية أو الاقتراب منها، تراجع المشركون على الفور، وهربوا مدبرين. حتى نساؤهم اللواتي كن ينشدن بالبهجة قبل قليل يعزفن على الدفوف بحماس، رمَين الدفوف وركضن نحو الجبل. وعندما رأى المسلمون العدو يفر، طاردوهم لأخذ أسلحتهم وجمع الغنائم. وفي الوقت نفسه، نزل لجمع الغنيمة رماةُ المسلمين، الذين عينهم النبي ﷺ على الجبل وأمرهم بعدم التحرك من مكانهم بأي حال من الأحوال، هذا ما يقال. ونهاهم عن ذلك بشدة عبد الله بن جبير رضي الله عنه أميرهم الذي عينه رسول الله ﷺ، وقال: قد أُمِرنا بعدم مغادرة هذا المكان بحال من الأحوال ولكنهم لم يطيعوا وقالوا: لقد انهزم المشركون، فماذا سنفعل ببقائنا هنا؟ ثم نزلوا من الجبل وبدأوا في جمع الغنائم. ومع أن أكثرهم قد تركوا مكانهم، فقد بقي في مكانه أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه وبعض أصحابه الذين لا يقل عددهم عن عشرة. فقال للنازلين من الممر: لا أخالف أمر رسول الله ﷺ أبدًا. قال ذلك أميرهم.

أغلب المؤرخين وكُتاب السيرة يقولون عند ذكر الصحابة الذين تركوا الممر: إنهم استعجلوا في الحصول على الغنيمة، لذا أصروا على أنه مادام الجميع يجمعون الغنيمة لماذا نتخلف نحن، مع أن أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه كان يمنعهم قائلًا بأن النبي ﷺ إنما أمرنا بألا نتحرك من هذا المكان مهما حدث، لذا يجب أن نبقى هنا، لكن غالبية هؤلاء الناس لم يوافقوا على كلام الأمير، ونزلوا من الممر ليجمعوا الغنيمة، وقد كتب هذا أكثر المؤرخين، وقد ورد في كتب الحديث والتفسير عمومًا أن هؤلاء الصحابة تركوا الممر بسرعة من أجل الغنيمة. والآية ١٥٣ من سورة آل عمران تقول: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.

وفي تفسير هذه الآية كتب معظم المفسرين أيضًا أن الصحابة أسرعوا في الحصول على الغنائم، لكن لا يستسيغ العقل أن الصحابة تركوا الممر رغبةً في الدنيا. لقد كتب حضرة المصلح الموعود ﷺ أيضًا ملحوظة تفسيرية حول هذا وهي غير مطبوعة، وسوف أذكرها فيما يلي. ولكن دعوني أشرح شيئا قبل ذلك أو أقرأ الآية كلها أولا. الآية كلها هكذا: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ، وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٣).

هذه هي الآية التي يُحسب في تفسيرها أنها تتحدث عن الغنيمة، وأن هذه الآية تتعلق بهذه الحرب. ولكن القول أو حتى التفكير في الصحابة أنهم كانوا يبتغون الغنيمة إنما ينافي مكانتهم. لأنهم كانوا قد افتدوا بأهلهم وأولادهم وحتى حياتهم في سبيل الله الحبيب ورسوله ﷺ، وقبل ذلك كانوا قد قدموا أموالهم ومواردهم في هذا السبيل رغبةً في الشهادة. فكما وردت هذه الواقعات أن الصحابة كانوا يريدون أن يقاتلوا خارج المدينة، فلم تكن هذه الحروب من أجل الغنائم. إنه لاتهام يُلصق بالمسلمين. إلا أن الحصول على الغنيمة في حالة النصر يمكن أن يكون كشيء ثانوي، ولكن مقصود الصحابة لا يمكن أن يكون الحصول على الغنيمة أبدًا.

ولكن يبدو أن أسلافنا المؤرخين وكُتاب السيرة والمحدثين والمفسرين قد أخطأوا عند ذكر تاريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ وحياته، واعتمدوا على سند الرواية، وذكروا ببساطتهم أو موقنين بصحة الرواية أن الصحابة كانوا قد نزلوا للغنيمة. ولم يدركوا كم أن بيانهم هذا سيكون مضرا من حيث العواقب والآثار، وكم سيكون منافيا لمكانة شخص الرسول ﷺ أو الصحابة الذين نالوها بفيض القوة القدسية للرسول ﷺ. المهم أنه بالنظر إلى تضحيات الصحابة ورغبتهم في الاستشهاد يصعب القبول بأن الصحابة كانوا قد استعجلوا في مغادرة هذا الممر لمجرد الحصول على الغنائم.

ويبدو أنه عندما رأى هؤلاء الصحابة أن المسلمين قد انتصروا وأنهم يطاردون العدو ويتعقّبونه، أصبح الصحابة الموجودون في الممر متحمسين للمشاركة في فرحة هذا النصر البيّن، وفي اللحظات الأخيرة من هذه الحرب التي انتهت بالنصر كانوا حريصين على المشاركة في هذا الفرح. ربما كانوا يظنون أن إخواننا الآخرين يشاركون بشكل مباشر في الجهاد ونحن نقف هنا على الممر. فلعل الرغبة في الجهاد ثارت لديهم فظنوا أن النصر قد تحقق، فعليهم أن ينضموا عمليًّا إلى الجهاد في نهاية هذا اليوم. على الأقل احتفالا بهذا النصر، لكن أميرهم عبد الله بن جبير ﷺ، الذي أثبت أنه أكثر فراسة، كان يضع نصب عينيه قول النبي ﷺ بأنه مهما يحدث، فلا تتحركوا من هنا. هذا كان قراره، وكان هذا القرار صحيحا، مهما كان الأمر، فلا ينبغي لنا أن نتحرك من هنا.

كما قلتُ، يوجد تفسير لهذه الآية في الملحوظات غير المنشورة لحضرة المصلح الموعود ؓ، فقال: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ هنا "الدنيا" لا تعني الغنيمة، بل تعني أشياء الدنيا، و"الآخرة" تعني النهاية والنتيجة النهائية. والاعتقاد بأن الصحابة ظنوا أنهم (إن لم ينزلوا من الممر) لن يحصلوا على الغنيمة هو أمر مخالف للواقع، لأنه في معركة بدر حتى أولئك الذين لم يتمكنوا من الانضمام إلى الحرب لاضطرار حصلوا على نصيب في الغنيمة، لذا هذه الفكرة خاطئة تماما. ولا يصح ظن حب الدنيا في الصحابة. هذا ما قاله حضرة المصلح الموعود ؓ. ثم قال: الحقيقة هي أنهم كانوا يريدون المشاركة في معركة أحد. وهذه أيضا كانت الفكرة الدنيوية بأن ينضموا إلى هذه المعركة ويقتلوا الكفار. وليس المقصود هنا التورط في جمع الغنائم. يقول الله: كنتم تفكرون أننا ينبغي ألا نتخلف عن أولئك الذين انضموا إلى المعركة، ولكن هذه أيضا فكرة دنيوية لأن القتال وحده ليس بشيء. ومخالفة أمر النبي ﷺ تجعل الأمر شيئا دنيويًّا. كان ينبغي عليكم أن تطيعوا الأمر فقط، لأن عدم إطاعة أمر النبي ﷺ حتى لو كان حربًا في سبيل الدين، وكان قد نهاكم عنه وعيّنكم في مكان آخر فإن الامتثال لهذا الأمر هو الدين في الحقيقة وليس الدين القتال.

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ أي أن أميركم وأصحابه أرادوا الآخرة. وأخذوا النهاية والنتيجة في الاعتبار. لقد رأوا أن نتيجة هذا الأمر لن تكون جيدة. وكان الأمير ينظر إلى العواقب بعد عصيانهم لأمر رسول الله ﷺ. وهكذا كان زملاؤه أيضًا يحسبونه على الحق. كان الأمير ومن وافقه توصلوا إلى نتيجة مفادها أنهم يعتبرون أمر النبي ﷺ أهمّ من الانضمام إلى الحرب. أصبح الأمر واضحا. ولكن على العكس من ذلك، كانت عيون الآخرين على السطح. قال المصلح الموعود ؓ: إن هذه المعاني تتناسب مع مكانة الصحابة التي تظهرها أعمالهم وتضحياتهم.

وقد ذكر خليفة المسيح الرابع رحمه الله هذه الملحوظة للمصلح الموعود ؓ ووضّح أن المنازعين للأمير يريدون الدنيا، وأميرهم عبد الله بن جبير كان يريد الآخرة. وذكر الخليفة الرابع أن هذه النقطة قد بينها المصلح الموعود ؓ في ملحوظاته، وهي نقطة جيدة مفادها أن الذين يتخذون من الدنيا معنى النهب والغنائم هم مخطئون. كان هؤلاء الصحابة ينظرون إلى النصر المؤقت، والمراد بالدنيا هنا هو أنهم كانوا ينظرون إلى الأمر الذي ظهر أولا، أي الحرب التي انتصر فيها المسلمون، وكان عبد الله بن جبير ؓ ينظر إلى الآخرة، فكان يرى النصر الأعظم في رضى النبي ﷺ، لذا كان يريد أن يرضى عنه اللهُ ومحمد رسول الله ﷺ في النهاية، وهذه الأشياء المؤقتة المرئية لا معنى لها على الإطلاق ولا حقيقة لها. الخير الحقيقي هو كسب رضاهما.

ووضّح حضرة الخليفة الرابع مزيدا وقال: يقول حضرة المصلح الموعود ؓ لا علاقة لهذا النقاش هنا أن بعضهم كان يرغب في الدنيا والآخر في الآخرة، لأن الحقيقة هي أن هذه الدنيا كانت صغيرة جدًّا. هذا يبدو غريبا. ثم وضّح أن الذين كانوا مسؤولين عن حراسة الممر لا بد أنهم فروا من الممر، وحتى يصلوا

يكون قد انقسم كل شيء. لماذا لا يفكرون أنهم كانوا في عجلة من أمرهم لكي ينضموا إلى إخوتهم هناك. كما قال الله في القرآن الكريم أن أحسنوا الظن بإخوتكم، لذا فهم ذهبوا هناك ظانين أن الجميع يعزفون أغاني النصر ويفرحون ويقفون بالقرب من رسول الله ﷺ ويهنئون بعضهم بعضا، فلماذا نتخلف عن هذا المشهد. وهذا يحدث كثيرا، ويتطابق مع الفطرة الإنسانية أنه حيثما يكون احتفال أو فرح، يهرع الجميع إلى هناك.

يقول الخليفة الرابع رحمه الله: خلال إقامتنا هنا قد رأينا مرات عديدة أنه إذا كان هناك خبر سار، فيأتي الناس إلى هنا للمشاركة في الفرح، ولا يأتون إلى هنا لنهب أي غنيمة. لذا، كان هؤلاء الصحابة يرون أن الآخرين يستمتعون كثيرًا هناك أو حيث كان النبي ﷺ. الجميع يستمتعون معًا حول النبي ﷺ إذ قد تحقق وعد الله. ونحن نقف هنا وحدنا، سنذهب نحن أيضًا إلى هناك، ولكن عبد الله بن جبير ؓ كان ينظر إلى الآخرة، فكان يرى في هذا الوقت أن البقاء على جانب واحد من أجل رسول الله ﷺ وطاعة أمره هو أكثر سعادة من الاشتراك في ذلك الفرح. وهذه المتعة في الحقيقة مختلفة عن ذلك الفرح.

من ناحية، عندما كان جيش الكفار يدير ظهره بعد هزيمة نكراء، ومن ناحية أخرى، ترك حوالي أربعين من المجاهدين الخمسين المتمركزين عند الممر الجبلي مكانهم ونزلوا. ففي ذلك الوقت رأى خالد بن الوليد أن الممر الذي كان عليه خمسون من الرماة قد خلا، (لم يكن خالد بن الوليد قد أسلم حينها) ولم يبق عليه سوى عدد قليل. فلما رأى ذلك أخذ معه عكرمة بن أبي جهل ورجع بفرسانه ووصل إلى ذلك التل وهجم على هؤلاء الأشخاص القلائل الذين كانوا موجودين هناك من فرقة الرماية.

كان هذا الهجوم شديدا لدرجة أنهم قتلوا في الكرة الأولى أمير الفرقة عبد الله بن جُبير ؓ وبضعة من أصحابه. ومثّلوا بجثة عبد الله بن جبير ؓ أي بتروا أطرافه وبعضا من أجزاء جسده الأخرى. وبعد ذلك نزلت كتيبة قريش هذه فجأة وأحاطت بالمسلمين. كان المسلمون غافلين ومشغولين في جمع الغنائم وأسر أسرى المشركين وإذ بكتائب المشركين من الفرسان تصل إلى المسلمين على حين غرة منهم. كان المشركون يرفعون هتافات باسم العزى وهبل وكان ذلك شعارهم يوم أُحد. وما إن وصلوا إلى المسلمين على حين غرة منهم حتى جعلوهم دريئة سيوفهم. فحار المسلمون وتوجهوا حيثما بدا لهم فاقدين صوابهم، وتفرقوا شذر مذر تاركين كلَّ ما كانوا قد جمعوا من الغنائم ومن كان في أيديهم من الأسرى، فلم تبق لهم من صفوف ولا ترتيب، ولم يعلموا عن بعضهم بعض شيئا. كان لواء المشركين إلى ذلك الحين ملقى على الأرض. فلما رأت إحدى نسائهم اسمها عمرة بنت علقمة فجأة هذا الوضع الجديد أخذت اللواء ورفعته وأخذت تنادي المشركين بأعلى صوتها. ولما رأى المشركون الهاربون لواءهم مرفوعا فهموا أن كفة الحرب قد رجحت لصالحهم فعادوا مسرعين واجتمعوا حول لوائهم.

يقول أحد الكتّاب: إن امرأة اسمها عمرة بنت علقمة أخذت لواء قريش المضرج بالدم، وشرعت ترفعها بقوة وتلوم الهاربين من ميدان الوغى، وتنادي كفار مكة للعودة. فكانت النتيجة أن الكفار المهزومين اجتمعوا في ميدان أُحد مجددا وأحاطوا بالمسلمين من الأمام والخلف. كان المسلمون قد حلّوا صفوفهم غير هيابين فلم يعد لصفوفهم أي ترتيب. ففي هذا اليوم قُتل عدد لا بأس به من المسلمين. وقد تحوّل الفتح الذي نالوه من قبل إلى الهزيمة.

يقول كاتب آخر وهو يصوّر هذا المشهد: لقد فقد المسلمون تنظيمهم بعد خطأ ارتكبه الرماة وشرعوا يقتلون بعضهم بعضا فاقدين صوابهم. وكان كثير منهم حائرين لا يعرفون إلامَ يتوجّهون ولا سيما بعد أن أعلن منادٍ منهم أن محمد (ﷺ) قد قُتل. هذا كان ابتلاء شديد الوطأة حيث قُتل بسببه كثير من المسلمين على يد إخوانهم المسلمين دون قصد منهم (أي قتل المسلمون المسلمين خطأ). كانت الفرصة مهيأة لأنْ يقتل عدد كبير من المشركين الذين كانوا قد نظّموا أنفسهم بعد ما قام به خالد (ابن الوليد) عددا قليلا من المسلمين ويقضوا عليهم. ولكن تداركهم فضل الله تعالى مرة أخرى ولم يحدث ما تمناه العدو.

وقد ورد عن قتل اليمان، والد حذيفة ﷺ خطأ بيد المسلمين: كان اليمان والد حذيفة أحد الأمثلة على قتل الصحابة بعضهم بعضا خطأ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلَى أُحُدٍ، رَفَعَ حُسَيْلُ بْنُ جَابِرٍ وَهُوَ الْيَمَانُ أَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ الْيَمَانِ، وَثَابِتُ بْنُ وَقْشٍ فِي الْآطَامِ مَعَ النّسَاءِ وَالصّبْيَانِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ وَهُمَا شَيْخَانِ كَبِيرَانِ مَا تَنْتَظِرُ؟ (كانا جالسان في الحصن فتحدث أحدهما للآخر. فقال ماذا ننتظر؟) فَوَاَللهِ لَا بَقِيَ لِوَاحِدِ مِنّا مِنْ عُمْرِهِ إلّا ظِمْءُ حِمَارٍ إنّمَا نَحْنُ هَامَةُ الْيَوْمِ أَوْ غَد، أَفَلَا نَأْخُذُ أَسْيَافَنَا؟ ثُمّ نَلْحَقُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ لَعَلّ اللهَ يَرْزُقُنَا شَهَادَةً، حَتّى دَخَلَا فِي النّاسِ وَلَمْ يُعْلَمْ بِهِمَا. (كان المسلمون يعرفون أنهما لم يشتركا في القتال، بل مازالا في المدينة ولكنهما كانا قد وصلا ميدان القتال ولكن المسلمين لم يعرفوهما لأول وهلة) وأما والد حذيفة فقتله المسلمون خطأ. فَقَالَ حُذَيْفَةُ: هذا المقتول هو أَبِي. فَقَالُوا: وَاَللهِ إنْ عَرَفْنَاهُ وَصَدَقُوا قَالَ حُذَيْفَةُ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِينَ. فَأَرَادَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يعطي حذيفةَ دية أبيه المقتول ولكن تَصدّقَ حُذَيْفَةُ بِدِيَتِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وعفا عنهم فَزَادَهُ ذَلِكَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وعند المسلمين خَيْرًا.

عن عمير بن إسحاق، قال: كان حمزة بن عبدالمطلب يقاتل بين يدي رسول الله، ﷺ، يوم أحد بسيفين، ويقول: أنا أسد الله، وجعل يُقبل ويُدبر، قال فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة فوقع على ظهره، وبصر به الأسود، قال أبو أسامة: فزرقه بحربة فقتله.

وكتب حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في بيان ذلك ما يلي:

كان حمزة ﷺ عمًّا للنبي ﷺ وأخوه أيضا من الرضاعة. قاتل بشجاعة عظيمة. وحيثما توجّه انشقت من أمامه صفوف قريش. كان العدو أيضا له بالمرصاد. كان جبير بن مطعم قد حضر القتال مع عبده الحبشي

اسمه " وحشي" بوجه خاص واعدا إياه بعتقه إن قتل حمزة انتقاما كما قتل حمزةُ طعيمةَ بن عدي عمَّ جبير يوم بدر. فجلس وحشي بالمرصاد مواريا عيانه ولما مرّ حمزة من هنالك هاجما على شخص رماه وحشي تحت سُرّته برمح نفذ جسمه. سقط حمزة بشدة ولكنه تمالك نفسه ونهض بعد قليل وأراد أن يقفز إلى وحشي ، ولكنه سقط مرة أخرى ولفظ أنفاسه وهكذا انكسر عمود قوي لجيش المسلمين. ولما بلغ النبي ﷺ مقتل حمزة، حزن حزنا شديدا. وقد جاء في رواية ما مفاده أنه عندما جاء قاتل حمزة ﵁ أمام النبي ﷺ بعد غزوة الطائف عفا ﷺ عنه، ولكنه قال احتراما لحبه لحمزة ﵁: لا تُرني وجهك. عندها عقد وحشي عزما أنه لن يهدأ ما لم يقتل عدوا كبيرا للإسلام باليد التي قتل بها عمَّ رسول الله ﷺ. علما أنه كان مسلما حينذاك، وتغيرت أفكاره. ففي حرب اليمامة في عهد سيدنا أبي بكر ﵁ أوفى وحشي بعهده بقتل مدّعي النبوة الكاذبة مسيلمة الكذاب.

لقد أُسيئ إلى جُثة حمزة ﵁ وقد جاء في رواية أن هندا زوجة أبي سفيان جاءت يوم أحد مع الجيش وكانت قد نذرت أنها ستمضغ -إن وجدت فرصة- كبد حمزة انتقاما لأن أباها قُتل على يده يوم بدر. فلما وقعت الأحداث السالفة الذكر وحلّ بحمزة ﵁ مصيبة، مثّل المشركون بالقتلى وشوّهوا صورهم وبتروا أنوفهم وآذانهم وأعضاءهم الأخرى. فجاءوا بجزة من كبد حمزة أخذتها تمضغها لتأكلها، فلم تستطع أن تبتلعها فلفظتها فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: إن الله تعالى حرم على النار أن تذوق من لحم حمزة شيئا أبدا.

لقد ذُكرت العواطف التي أبداها النبي ﷺ عندما رأى جُثة حمزة ﵁ وبشرّه بمكانة عليا. وفي رواية أن النبي ﷺ رأى جثة حمزة ووجد أن كبده قد مُضغ. قال ابن هشام: ولما وقف النبي ﷺ على حمزة قال: "لن أصاب بمثلك أبدا، ما وقفتُ قط موقفا أغيظ إلي من هذا!". ثم قال: "جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة مكتوب في السماوات السبع: "حمزة ابن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله".

يقول الخليفة الثاني ﵁ بهذا الشأن: كانت هند من أشد الناس بغضًا وعداء للرسول ﷺ وكانت تحرّض الكافرين بالشعر على قتال المسلمين في غزوة أُحد. ولما أصيب المسلمون بنكسة مؤقتة في القتال أعلنت هند بين الكافرين أن من يجدع أنف وأذن حمزة عمِّ الرسول ﷺ ويأتيها بكبده ستكافئه بجائزة كبيرة. فذهب الكافرون ومثّلوا بجثة حمزة. وعندما انتهت الحرب وعلم النبي ﷺ بما فُعل بجثة عمه أخذه حزن شديد، فحلف أنه سيفعل بجثث الأعداء بمثل ما فعلوا بجثة عمه. فنهاه الله تعالى عن ذلك وأمره بأن يعفو عن الكفار ويصفح عنهم رغم كل ما فعلوه.

قد ذُكر أن أخت حمزة ﵁ أبدت أسوة جديرة بالتأسي للصبر والرضا والطاعة، فقد رُوي عن الزبير أن امرأة تؤم القتلى بسرعة يوم أُحد قرب نهاية المعركة، وتوشك أن ترى جثث الشهداء، فلم يعجب النبي ﷺ أن ترى المرأة جثث القتلى لأن كثيرا منهم كان قد مُثِّل بهم بشدة فقال ﷺ المرأة المرأة!! يقول الزبير:

فتوسمتها فإذا هي والدتي صفية، فهرعتُ إليها ووصلت إليها قبل أن تصل إلى جثث الشهداء فضربتْ بيديها على صدري ودفعتني (وكانت امرأة قوية) وقالت: لن أستمع إليك فابتعد عني. قلت لها إن رسول الله ﷺ يعزم عليك ألا تري الجثث، فتوقفتْ فورا وأخرجت ثوبين وقالت لي: أحضرتهما لأخي حمزة لأني علمت بشهادته فكفِّنوه بهما. أي لم تُطع في ذلك ابنها بل دفعته إلى الوراء، ولكن عندما سمعت أن النبي ﷺ أمرها بذلك توقفت فورا طاعة له ﷺ. وقالت: قل للنبي ﷺ وفي رواية قالت صفية: علمتُ أن أخي قد مثّل به الكفار، ولا أريد إلا أن أراه وأعد إنني سأصبر وأحتسب ولن أرفع النواح والعويل! فذكر الزبير ذلك للنبي ﷺ فقال دعوها تتقدم وترى جثة أخيها، فجلست قرب الجثة. وانهمرت عيناها بالدموع حين رأت أسد الله بهذا الشكل ولكن لم تنبس ببنت شفة. وفي رواية أن النبي ﷺ أيضا جاءها وجلس قربها وسالت دموعه أيضا. أسالت الأختُ الشجاعة والصابرة دموعا لبعض الوقت ثم نهضت وقالت لابنها: لقد جئت بثوبين لأخي لأنني علمتُ أنه قد قُتل، فادفنوه في هذين الثوبين.

يقول الراوي: عندما أردنا تكفين حمزة رضي الله عنه في الثوبين نظرنا إلى جانبه رجلاً شهيدا من الأنصار. فقد عومل بما عومل به سيدنا حمزة، فاستحيينا أن نكفن سيدنا حمزة في ثوبين ولا يتيسر لهذا الأنصاري ولا ثوب واحد، لذا قررنا أن نكفن سيدنا حمزة في ثوب وذلك الأنصاريَّ في ثوب آخر، ثم لاحظنا أن أحدهما أطول فاقترعنا وكفنَّا كل واحد منهما في ثوب خرج له في القرعة.

يقول سيدنا الخليفة الأول للمسيح الموعود عليه السلام: فلما رأى سيدُنا حمزة جيش الكفار مضطربا خرقه ووصل إلى قلب الجيش، فكان المسلمون قد انتصروا، لكن أصحاب سيدنا عبد الله بن جبير نزلوا من الجبل متجاهلين أوامر النبي ﷺ وأملا في الغنائم. فلما رأى العدو الجبهة فارغة جمع الفرسان وانقضَّ على الجيش الإسلامي من عقبه، فحصل قتال عظيم، واستُشهد سيدنا الأمير حمزة وعبد الله بن جبير وأصيب سيدنا علي وسيدنا عمر وسيدنا الصديق رضي الله عنه بالجروح. وهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان شقت كبد الأمير حمزة ومضغته، وقطعت آذان القتلى المسلمين وأنوفهم وغيرها من الأعضاء فجعلتْ منها عقدا ولبستْه، فحين رأى المسلمون هذه الإساءة إلى جثث المسلمين استشاطوا غضبا، حتى أصابت النبيَّ ﷺ رقةٌ وغضبٌ شديدين وقال: إذا انتصرتم فافعلوا أنتم أيضا مع جثث الكفار هكذا، ثم رأى عمه العزيز الأمير حمزة الذي كان فدى له،فقال : لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك. لكن رحمته الفطرية وليونته الجِبلّية غلبت الخصلةَ البشرية واستنزلت الآية: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (النحل ١٢٦)، فسبحان الله قد أبدى الصبر في مثل تلك الأوضاع، فصدق القول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء ١٠٧) (مدح حضرتُه سيدنا رسولَ الله لكونه رحمة للعالمين)، ففي ذلك اليوم حُرِّمت نهائيا العادةُ القبيحة الجارية في كل الأمم القديمة أي التمثيل بالجثث وكان ذلك من مفخرة الإسلام وحده.

في هذه الحرب أصابت المسلمين صدمةٌ عنيفة إذ جاء هذا البلاء نتيجة خطأ الجنود مع عبد الله بن جبير

وفي الوقت نفسه حصلت فائدة عظيمة أيضا، إذ قد تبين جليا نفاقُ المنافقين وبغضُ اليهود وعنادهم وتميز المسلمون الصادقون.

يقول سيدنا المصلح الموعود: كان من ألد أعداء النبي ﷺ هندٌ وكانت عدوةً شرسة حيث كانت في غزوة أحد تُولد الحماس في قلوب الناس بإنشاد الأبيات، وتقول اذهبوا وهاجِموا الجيش الإسلامي. وحين واجه الجيش الإسلامي وضعا خطرا، قالت من جاءني بكبد حمزة (عم النبي ﷺ) وأذنيه وأنفه فسأقدم له الجائزة، فهذا ما حدث مع سيدنا حمزة. فلما علم النبي ﷺ بعد الحرب بالإساءة إلى جثته تألم بطبعه فقال لقد بدأ الأعداء هذه المعاملة الظالمة البشعة فسأعاملهم أيضا بمثلها، فأوحى الله ﷻ إليه ما مفاده أنه ينبغي أن لا يُقْدم على ذلك رغم هذه المعاملة الظالمة من قبل الكفار وأن عليه أن يبدي العفو والصفح.

سأذكر تفصيل الحرب مستقبلا إن شاء الله.

منذ فترة أطلب منكم الدعاء للفلسطينيين، فادعوا الله ﷻ أن يوفق العالم للسعي الحقيقي لمنع الظلم، وصحيح أن الصوت ضد الظلم بدأ يرتفع قليلا، ويقول الناس إن الظلم يُرتكب، لكن يبدو أن الجميع خائفون من الحكومة الإسرائيلية أو أن العالم الغربي لمعارضته وكراهيته للمسلمين لا يريد بالطبع أن تنتهي الاعتداءات على المسلمين، أو لا يريد أن تبذل الجهود لمنع الظلم كما ينبغي، فهم لا ينظرون أن الظلم يُصبّ على الأولاد الأبرياء والنساء والمسنين. على كل حال نحن لا نعتمد على هؤلاء كثيرا وفي الوقت نفسه يجب أن نستمر في بيان هذه الأمور لهم، كما يجب أن لا ننقطع عن الدعاء أيضا أن يوفق الدول الإسلامية أن يخلقوا القوة في صوتهم ويرفعوا الصوت ضد هذا الظلم متحدين، ويسعوا لإنهائه.

بعد الصلاة سأصلي جنازة الغائب على مرحومَين، أولهما الشيخ أحمد حسين أبو سردانة، من سكان غزة، فقد كتب عنه السيد محمد شريف عودة المحترم أن هذا الأحمدي الكبير في السن الشيخ أحمد حسين أبو سردانه قد استُشهد قبل أيام في القصف الإسرائيلي على غزة، إنا لله وإنا إليه راجعون. فهو أول أحمدي يستشهد في غزة في هذه الحرب الجارية عن عمر يناهز ٩٤ سنة، وكان من خريجي الأزهر، كان قد جاء إلى حيفا في عام ١٩٧٠ مع بعض أصدقائه، وبتدبير إلهي وصل إلى الكبابير مع أصدقائه للصلاة يوم العيد، في الخطبة ذكَر مولانا بشير الدين عبيد الله الداعية الأحمدي المرحوم ظهورَ الإمام المهدي، فنشأت عنده الرغبة في التعرف إلى الأحمدية، فطلب من الأحمدي الجالس بجانبه السيد فلاح الدين عودة أن يدبر له اللقاء المفصل مع مولانا بشير الدين عبيد الله، وفي أثناء الحديث قال لمولانا: كان والدي المرحوم قد نصحني أني إذا سمعت عن ظهور الإمام المهدي في حياتي أن أبايعه حتما، ثم بايع في اليوم نفسه وبعض أصدقائه أيضا. كان المرحوم عالما محترما محببا في منطقته. لم ينجب المرحوم لكن في أقاربه بعض الأحمديين المخلصين، بعد البيعة ظل على تواصل مع الأحمديين في الكبابير وكان يأتي إلى الكبابير أيضا قدر المستطاع، كان يحب خلفاء المسيح الموعود عليه السلام كثيرا وقد أعرب مرات كثيرة عن كونه أحمديا مخلصا، كان يحب

القرآن الكريم كثيرا، وذكر في رسالته الصوتية المسجلة أنه يختم القرآن الكريم كل أسبوع، قاضي القضاة في فلسطين السابق الشيخ محمد حسين أبو سردانه كان أخًا للمرحوم أحمد أبو سردانة. زوجته الثانية أيضا أصيبت بجروح في هذه الحادثة. شفاها الله وعافاها.

يقول الدكتور عزيز حفيظ المحترم الذي ظل يسافر إلى هناك من قِبل "الإنسانية أولا" وقابل المرحومَ أيضا: عندما ذهبت إليه للزيارة أراد أن ينهض احتراما لي، فقلت له أن يبقى جالسا، فثارت عواطفُه ولامسني بعصاه بلطف وقال أنى لي أن أبقى جالسا وأنت تقوم أمامي بصفتك ممثلا لخليفة المسيح، فكان يكرم ويحترم الخلافة كثيرا، ثم أمسك بيدي وقال إن البلاد التي تنتمي إليها قد بُعث فيها المسيح الموعود، فلما لاحظت حبه العظيم لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام وخلفائه دمعت عيناي أيضا.

ثم سجل رسالة لي بجواله وأرسلها إلي عن طريق الدكتور، وأنا أقرأ عليكم جزءا منها، قال:

"أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، السلام عليك يا خليفة المسيح الخامسَ. أنا في كل أسبوع أختم القرآن يا مولاي. وعندما أكون في صلاة الفجر أدعو لك. اِلحقني يا سيّدي، وانصرني يا خليفتي. أنا أعيش في ضيق وفي كرب روحاني. ماذا يريد العالم غير الصدق. وأنا أستجيب لكل أوامرك. الجهاد في سبيل الله هنا صعب يا مولاي لكنني عازم عليه. دخلتُ حرب ثمانية وأربعين شهدت ثلاث حروب على الحدود وأنا ضابط ملازم قائد مؤقع. وشُرِّدت في سيناء. ووالدي كان من أوْرع الصوفيين. وأخي الشيخ محمد أبو سردانة كان قاضي القضاة هنا في غزة. هناك من العائلة من يشوّش علي، فادعُ لهم يا مولاي بالإصلاح والصلاح. وليس لدي هنا في القطاع الا فئات، منهم هذا الشاب طارق أبو دية، وهو كإبني، لأنه ليس لي أولاد. بارك الله فيك وأشكرك. تقبَّلْ تحياتي يا مولاي وأنا أبايعك إلى يوم الدين إلى يوم أن ألقى اللهَ. ليس لي عقيدة إلاّ الأحمدية."

كان بعض المعارضين قالوا بحقه إنه ليس أحمديا، وعبثا يقال إنه كان أحمديا. الآن ربما سكت هؤلاء المعارضون بعد الاستماع إلى بيانه المسجل بصوته. رفع الله درجاته وشفى زوجته. تقبل الله أدعيته للفلسطينيين وأرسى هناك دعائم الأمن، ووفقهم للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام.

الجنازة الثانية للسيد عثمان أحمد غاكوريا من كينيا، فقد توفي في الآونة الأخيرة، إنا لله وإنا إليه راجعون. إن فترة خدماته للجماعة طويلة جدا فهي ممتدة على مدار عقود، كان من مواليد ١٩٣٢ وفي الستينات تعرَّف إلى الأحمدية عن طريق أحمدي عربي كبير السيد سام عفير المرحوم، وبعده بايع بدعوة الداعية الأحمدي مولانا المكرم روشن دين في ١٩٦٤ وانضم إلى الجماعة، وإلى آخر حياته وفَى بعهد البيعة بروعة، كان منخرطا في سلك التعليم، وبعد تحرير كينيا عُين أول عميد محلي لمدرسة تكنولوجيا كوالي بن، كما عُين أول عميد محلي لكلية التكنولوجيا، وكان يذكر ذلك كثيرا. تقاعد عن منصب مرموق في مديرية التعليم، فقد تشرف بترجمة عدة كتب للجماعة إلى اللغة السواحيلية، وكان من شرفه أنه كان أول رئيس

محلي للجماعة في نيروبي، كما كان يعد من أوائل الموصين المحليين في كينيا. كان المرحوم يملك عدة خصال حميدة، وكان رجل المبادئ. فقد ظل يداوم على قيام الليل إلى أواخر حياته، لم يتهاون أو يتكاسل قط في أداء التبرعات وكان يكنّ للدعاة المركزيين احتراما كبيرا، وكلما رأى أيَّ أحمدي يتكلم ضد أي داعية مركزي أو يشتكيه نهاه فورا وأبدى عتابا وكراهية شديدة، وكان دوما ينصح الإخوة قائلا: إذا كنتم تتمتعون اليوم بنور الإيمان فبفضل هؤلاء الدعاة حصرا، وبواسطتهم وُفقتم للإيمان بالمسيح الموعود عليه السلام وإلا كنتم واقعين في الجهل، فمنة هؤلاء عليكم وعلى أجيالكم المقبلة، فلا تتكلموا هكذا. باختصار هذا كان من أخلاقه، وعلى الدعاة الجدد الذين يرسلون إلى هذه البلاد أن يقيموا أرفع معايير الصلاح والتقوى، ويصبحوا قدوة للأحمديين المحليين. كان المرحوم مضيافا أيضا، أولاده كلهم أحمديون ملتزمون ويوفَّقون لخدمة الجماعة بشكل أو آخر، أحد أبنائه السيد عبد العزيز غاكوريا المحترم رئيس مجلس أنصار الله في كينيا.

تغمده الله بواسع رحمته وغفر له ورفع درجاته ووفق أولاده باقتفاء أثره.

*****